

النَّظَافَةُ الْعَامَّةُ وَضَرَّرَ تَلْوِيثُ الْبَيْتَةِ

الْحُطْبَةُ الْأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، مُحَمَّدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَلِيلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ ...

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الْإِعْتِدَاءَ عَلَى الْآخِرِينَ وَظَلَمَهُمْ، وَسَلْبَهُمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِيذَاءَهُمْ؛ مِنْ أَعْظَمِ الدُّنُوبِ. وَلِعِظَمِ الظُّلْمِ حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ تَعَالَى: (وَمَا اللَّهُ بِرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ) فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أُولَى بِكُلِّ كَمَالٍ، وَأَحَقُّ بِكُلِّ حَمْدٍ، وَأَبْعَدُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَظُلْمٍ. وَالظُّلْمُ مُنْتَفٍ عَنْهُ بِكُلِّ حَالٍ، بَلْ نَزَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ عَنِ الظُّلْمِ بِلَفْظِهِ الصَّرِيحِ، فِي الْقُرْآنِ فِي اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ آيَةً. وَمِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ: الشَّرْكُ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِعْطَاءُ حَقِّ اللَّهِ لِغَيْرِ اللَّهِ. وَالظُّلْمُ يَقَعُ مِنَ الْبَشَرِ، بَعْضُهُ بِحَقِّ اللَّهِ، وَبَعْضُهُ بِحَقِّ بَعْضِهِمْ نَحْوَ بَعْضٍ، فَالظُّلْمُ مَذْمُومٌ مُطْلَقًا، لَا يُحْمَدُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ، وَلَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الدَّمِّ وَالْعَيْبِ. وَالظُّلْمُ أَنْوَاعُهُ عَدِيدَةٌ، وَصُورُهُ كَثِيرَةٌ، بَعْضُهَا بِالْأَقْوَالِ، وَبَعْضُهَا بِالْأَفْعَالِ. وَحَدِيثُ الْيَوْمِ عَنْ ظُلْمِ يَجْهَلِ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ ظُلْمٌ، أَوْ يَغْفُلُونَ؛ مَعَ أَنَّ فِيهِ إِعْتِدَاءً عَلَى الْآخِرِينَ؛ وَلَوْ تَأَمَّلُوا وَتَدَبَّرُوا؛ لَعَلِمُوا أَنَّهُمْ وَقَعُوا فِي الظُّلْمِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَثَلًا:

فَحِينَمَا يَقُومُ الْإِنْسَانُ بِرَمِيِ الْمَخْلَقَاتِ فِي الشُّوَارِعِ أَوْ فِي الطَّرِيقَاتِ؛ فَهُنَا وَقَعَ فِي الظُّلْمِ، وَالظُّلْمُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ هَذَا الشَّخْصُ يَكْمُنُ فِي أَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: إِنَّهُ ظَلَمَ عَمَلِ النَّظَافَةِ، الضُّعَفَاءَ الْمَسَاكِينَ، الَّذِينَ تَحْرِقُ الشَّمْسُ رُؤُوسَهُمْ، وَيُؤْذِي الْبَرْدُ أَجْسَادَهُمْ، وَيُيَسِّسُ الظُّلْمًا شِفَاهَهُمْ، فَيَبْدُلُونَ - بِسَبَبِ رَمِيِ النَّاسِ لَهَا فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا - جُهْدًا مُضَاعَفًا؛ فِي جَمْعِهَا وَوَضْعِهَا فِي الْأَمَاكِنِ الْمَحْصَصَةِ لَهَا؛ فَبِأَيِّ حَقِّ

يُظْلَمُونَ؟ أَلَا يَخْشَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَنْ يَرْفَعَ أَحَدُهُمْ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ؟

الْأَمْرُ الثَّانِي: هَذَا الظُّلْمُ يَقَعُ عَلَى النَّاسِ - أَيْضًا - حِينَمَا تُلْقَى هَذِهِ المِخْلَفَاتُ وَالْقَادُورَاتُ فِي طُرُقِهِمْ، فَقَدْ تُعْرَقُ سَيْرُهُمْ، أَوْ تُلَوِّثُ أَبْدَانَهُمْ.

وَيَزِدَادُ الْأَمْرُ سُوءًا وَإِثْمًا؛ حِينَمَا يَرْمِي قَائِدُ المَرْكَبَةِ، أَوْ أَحَدُ الرَّاكِبِينَ مَعَهُ مُخْلَفَاتِهِمْ وَهُمْ يَسِيرُونَ؛ فَيَقَعُ مِنْهُمْ مَزِيدٌ مِنَ الظُّلْمِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ المِخْلَفَاتِ قَدْ تَضُرُّ بِالسِّيَّارَاتِ المَارَّةِ، وَقَدْ تُرَوِّعُ قَائِدَ مَرْكَبَةٍ أُخْرَى حِينَمَا تَضْرِبُ بِسَيَّارَتِهِ، أَوْ قَدْ يَقِفُ أَحَدُهُمْ فَجَاءَةً - بِسَبَبِ هَذَا الإِلْتِطَامِ - بِمَا قَدْ يُعْرِضُهُ، أَوْ يُعَرِّضُ السِّيَّارَاتِ الأُخْرَى لِلْحَطَرِ. وَيُسَوِّهُ الفَاعِلُ صُورَةَ مُجْتَمَعِهِ وَبَلَدِهِ، وَيَبْظُنُّ العُرْبَاءُ بِأَنَّ هَذَا خَلْقٌ مُتَوَارَثٌ، مَعَ أَنَّ الدِّينَ قَدْ حَرَمَهُ، وَالأَخْلَاقَ النَّبِيلَةَ وَمَكَارِمَهَا تَنْبَذَهُ.

وَمِنَ الظُّلْمِ أَيْضًا مَا نَشَاهِدُهُ مِنْ تَشْوِيهِ لِلْمُتَنَزِّهَاتِ البَرِّيَّةِ، حَيْثُ يَبْرُكُ بَعْضَ المِتَنَزِّهِينَ الَّذِينَ أَتَوْا لِيَسْتَجِئُوا مُخْلَفَاتِهِمْ عِنْدَ مُعَادَرَتِهِمْ بِمَنَاطِرٍ بِشَعَةِ، تَتَقَرَّرُ مِنْهَا الأَنْفُسُ، وَتَضِيقُ مِنْهَا الصُّدُورُ، وَلَا تُسَرُّ بِمَرَّهَا العُيُونُ؛ فَإِذَا أَتَى إِلَى هَذِهِ الأَمَاكِنِ زُورًا وَمُتَنَزِّهُونَ جُدُدًا؛ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَمَاكِنُ النَّظِيفَةُ؛ وَقَدْ لَا يَسْلَمُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَدُعَائِ النَّاسِ، أَيْلِيقُ بِمُسْلِمٍ تَرَى عَلَى الأَخْلَاقِ الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا القُرْآنُ، وَعَرَفَ نَهْجَ النُّبُوَّةِ؛ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا؟! وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ أَشْرَفُ السُّنَنِ وَأَعْلَاهَا، وَأَكْمَلُهَا وَأَوْفَاهَا، وَأَفْضَلُهَا فِي مَعْرِفَةِ حَاجَاتِ النَّاسِ، وَمُتَطَلِّبَاتِ الحَيَاةِ، وَمِنْهَا المِحَافِظَةُ عَلَى البَيْعَةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي الحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ مِنَ الأَفْعَالِ الَّتِي يَلْعَنُ مِنْ خِلَالِهَا النَّاسُ فَاعْلَمِهَا، كَمَنْ يُلَوِّثُ قَارِعَةَ الطَّرِيقِ، أَوْ ظِلَّ الشَّجَرَةِ، أَوْ ضِيفَافَ الأَنْهَارِ، وَمَجَامِعَ السُّيُولِ بِفَضَالَتِهِ؛ بِمَا يَحْرِمُهُمُ الجُلُوسَ فِيهَا وَالإِسْتِمْتَاعَ بِهَا، وَيُقَاسُ عَلَيْهَا مَنْ يُلَوِّثُهَا بِفَضَالَتِ طَعَامِهِ. وَالمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ الأَفْعَالُ بَجَلْبُ اللُّعْنِ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَهَا يَلْعَنُهَا المَارَّةُ عَلَى فِعْلِهِمُ القَبِيحِ، حَيْثُ أَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ مَنْفَعَتَهُمْ، فَكَانَ ظُلْمًا، وَكُلُّ ظُلْمٍ مُلْعُونٌ. وَقَدْ تَأْتِي رِيَاخُ تَنْقُلُ هَذِهِ المِخْلَفَاتِ إِلَى آخَرِينَ؛ فَيَزِدَادُ عَدَدُ المِتَضَرِّرِينَ مِنْ هَذِهِ الأَفْعَالِ المِشِينَةِ، وَكَانَ مِنَ المُفْتَرَضِ يَجْمَعُوا مُخْلَفَاتِهِمْ، وَيَضْعُوهَا فِي الأَمَاكِنِ المِخْصَصَةِ لَهَا، وَيَفْصِلُوهَا الطَّعَامَ عَنْهَا، وَيَضْعُوهَا فِيهَا حُصَصَ

لَهُ، أَوْ يُقَدِّمُوهُ لِلْحَيَوَانَاتِ، وَإِذَا كَانَتْ بَعْضُ هَذِهِ الْمُنْتَزَهَاتِ الْبَرِّيَّةِ، لَا تُوجَدُ فِيهَا أَمَاكِنُ مُخَصَّصَةٌ لِلْمُخَلَّفَاتِ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَضَعُوهَا فِي أَقْرَبِ مَكَانٍ مُخَصَّصٍ لَهَا، أَوْ أَنْ يَدْفِنُوهَا، أَوْ يَحْرِقُوهَا فِي أَمَاكِنَ غَيْرِ مُعَشَبَةٍ؛ وَالْمَقْصُودُ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْهَا بِأَيِّ طَرِيقَةٍ مُمَكِّنَةٍ وَمَشْرُوعَةٍ. فَلَيْسَ الْإِنْسَانُ بِحَاجَةٍ إِلَى رَقِيبٍ بَشَرِيٍّ، يُوجِّهُهُ طَالَمَا أَنَّ الْخَوْفَ مِنَ الْجَلِيلِ مَوْجُودٌ بِقَلْبِهِ. كَمَا أَنْصَحُ نَفْسِي وَغَيْرِي بِأَنْ نَتَوَاضَعَ لِلَّهِ، وَمَتَى رَأَيْنَا مِثْلَ هَذِهِ الْمُخَلَّفَاتِ فِي طُرُقِ النَّاسِ، وَفِي مُنْتَزَهَاتِهِمْ؛ فَلِنُبَادِرْ بِإِزَالَتِهَا إِمَّا بِأَنْفُسِنَا أَوْ بِتَنَبِيهِ أَهْلِ الْإِحْتِصَاصِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضَعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ؛ فَأَخْرَعَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَعَفَرَ لَهُ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، وَاخْتِمِ بِالصَّالِحَاتِ آجَالَنَا.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى عِظَمِ نِعَمِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَلِيلُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ...

عِبَادَ اللَّهِ، هُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ يَقَعُ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ، وَيَظُنُّ أَنَّهَا مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي عَمَّتْ بِهَا الْبَلْوَى، وَيَسْتَهَيِّنُونَ بِهَا، وَلَا يُلْتَفَنُونَ لَهَا بَالًا، وَهَذَا -وَرِي- مِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ؛ وَلَكِنَّهَا ظُلْمٌ أَوْ إِعْتِدَاءٌ، كَبِيرٌ كَبِيرٌ، وَصَغِيرٌ صَغِيرٌ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْهَالِكِ كَيْفَ هَلَكَ، وَلَكِنْ انظُرْ لِلنَّاجِي كَيْفَ نَجَا، فَلَا تُعَامِلْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْتَرِينَ بِالْمِثْلِ، لَكِنْ اِرْفَعْ السُّفَهَاءَ وَالْمُسْتَهْتَرِينَ وَغَيْرَ الْمُبَالِغِينَ إِلَى أَخْلَاقِكَ الَّتِي عَلَّمَهَا لَكَ الدِّينُ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى أَخْلَاقِهِمُ الَّتِي

نَبَذَهَا الدِّينَ. إِنَّ هَذِهِ الأَفْعَالَ يَعْمَلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَن كَوْنِهَا ظُلْمٌ؛ وَإِلَّا لَمَا فَعَلُوهَا؛ لِأَنَّ
عَالِبِيَّتَهُمْ يَخْشَوْنَ اللهَ، وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّهَا ظُلْمٌ؛ لَتَرَكُوهَا خَوْفًا مِنَ اللهِ. فَمَنْ وَقَعَ فِي مِثْلِ هَذِهِ
الأَفْعَالَ فَعَلَيْهِ الإِسْتِغْفَارُ لِمَا مَضَى، وَالْعَزْمُ عَلَى أَلَّا يَفْعَلَ ذَلِكَ فِيمَا هُوَ آتٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:
(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)، وَقَانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ
مِنَ الظُّلْمِ!

وَأَخْتَمُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)،
اللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِحِفْظِكَ، وَوَفِّقْ وِلْيَ أَمْرِنَا، وَوِلْيَ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى؛ وَاحْفَظْ لِبِلَادِنَا الأَمْنَ والأَمَانَ،
وَالسَّلَامَةَ وَالإِسْلَامَ، وَانصُرِ المُجَاهِدِينَ عَلَى حُدُودِ بِلَادِنَا؛ وَانشُرِ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِنَا؛ وَاجْعَلْنَا
هُدَاةً مَهْدِيِّينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ؛ وَنَسْأَلُهُ العُفُوقَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى
المُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. وَفُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللهُ.